

أنا كويتي

(إن أعظم اكتشاف يكتشفه
الإنسان : اكتشاف إنسان)

— أنا كويتي .

— حظي إذن عظيم وسعدى طالع ، ولكن أرجوكم
أن تقول لي ما اسمك وما عنوانك ؟
— سلك الله ، قلت لك أنا كويتي ، أنا شخص من
الكويت وكفى .

— فهمت هذا من البداية ، فأرجو أن تعرفني اسمك
وعنوانك حتى أرسل المبلغ الذي دفعته عنى عند شرائي
هذه الكمية من السمك ، ولذا أكرر سؤالى ، فما اسمك ؟
وما عنوانك ؟

— لا ، لا ، ما يخالف .. أنا ماقت إلا بجزء بسيط من
الواجب علينا تجاهكم ، يأهلنا يا أهل فلسطين . وما أنا
إلا شخص بسيط من الكويت ، أنا كويتي وكفى ، بأمان الله
— بأمان الله ...

وهكذا ودعنى هذا الإنسان الذى لم أكن أعرفه من
قبل ، وسوف أبقى كذلك لأنه ككل الكويتيين يصنعون
المعروف ولا يعلنون عن أنفسهم . بل يتوارون خجلاً
وحياء ، من مجرد نسبتهم إليهم . إن هذا الحادث غير الفريد
فى الكويت . أثار فى مشاعرى وهيج ذكرياتى ، وأضاء
النور أمام تأملاتى .. فقد مرت على أيام ، تراءى لى
فيها كل شيء قائماً أمام عيني ، فالسما الصافية قد تحولت
إلى غيوم مكفهرة . لتحجب عنى كل نور ، وتخفى من
مظاهر الحياة كل جمال ، كأن قوة خرقاء قد عاثت فى
الضمير الإنسانى فحولته إلى قانون الغابة ، وتركتنى فى
قبضة المصادفات الغاشمة ، لأرى حولى إلا بؤساً وقسوة
ولا أسمع إلا نداء نفسى المفجوعة إلى الذين انقطعت بهم
السبل ، يخلفهم موت الأهل والعشيرة وذلل الفقر والجوع
وفقدان الأمل ، وإلى الذين تشردوا خارج بلادهم يكدحون
فى طول الأرض وعرضها ، متحملين قسوة الدهر ، وجور
الزمان . ومتطلعين إلى الإنسان ، كائناً من يكون ، مادام
قادراً على إبطال قوة الشر وإيقاظ قوى الخير والحق
والعدالة السامنة فيه .

مكثت هكذا أياماً وليالى كما يمكث آلاف اللاجئين فى
معسكراتهم ، أنتظر هذا الإنسان كائناً من يكون ، حتى
اعتادت نفسى أن تستأنس بالسكون ، وأن تنظر إلى كل
شيء نظرة المتبرم ، وتراكت الأيام على الأيام وأنا على
هذه الحال ، حتى خلت أنى أسرفت فى الانتظار واستنفذت
كل قوى الصبر والاحتمال .

وفى اللحظة الأخيرة ، حمل إلى الأثير اسم الكويت ،
واسم صديق عزيز من بلد عربى كريم ، فأخذت الصور
تتتابع وتتنافس أمام ناظرى بأشكالها الجديدة الزاهية
البراقة ، وتساعدت الغيوم وانقشعت ، وتجلت السماء
بزرقتها وسطعت ، فتلك الهدية المفاجئة . والعمل
بالكويت ، مقرونة إلى طيابة المهدي قد وقعت من نفسى
موقع شمس مشرقة ، أضاءت جوانب قلبى المعتم . وقتنعت
ضباب فؤادى المظلم ، فأخذت أهيم النفس . وقد سبقتنى .
لاستقبال تاريخ جديد فى بلد جديد ، وكنت أرثى فى ذلك
الأمس تلك الحظوظ المظلمة التى لا ينفذ السرور إليها .
ولكننى أدركت اليوم أن لكل محنة عائضة من الخير ،
فقد حلت ساعة فتح الأبواب ودخول البلاد الجديدة
والكويت . وهما أنا ذا أتخيل حين احتضنتنى هذه المدينة
العامرة ، أن ضمير الإنسانية قد استفاق من سنيه . فأقبل
علينا يواسينا ويضمد جراحنا ، وإن العقل مهما ارتقى
وتفنن فى التعرف إلى كفة الأمور ، واستجلاء غوامض
الطبيعة ، فإنه ان يستطيع تفهم النفس البشرية ويعلم يقيناً ،
ما يتجاوز فيها من أثر المؤثر . فأنا أشعر بعجز كبير حين
أحاول التعبير عن جزء مما فى هذه النفس من أثر وإرجاع
لهذا المؤثر الجديد الطارىء فى حياتى الجديدة ، وهذا
المؤثر الجديد الطارىء هو بكل تأكيد ليس الكويت
(المكان) بل الكويت (السكان) . . . وإنه والله لقول
حق ما قاله مغمور من المغمورين :

« إن أعظم اكتشاف يكتشفه الإنسان اكتشاف إنسان »
فقد اكتشفت بدخولى الكويت هذا الإنسان الذى
تتضائل أمامه كل قوى الشعراء المبدعين فى الوصف
والإطناب ، فلا الكرم ولا الشجاعة أو التضحية بكافية
لتصوير نفسية هذا الإنسان الكويتى وإيفائه حقه .

فوزى الكبيلى

المدرس بالمباركية الثانوية